إِذَا أَقْبَلَتِ الْعَشْرُ



جمع وترتيب
صلاح بن ماهر

مقدمة

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم للخيرات، تتضاعف فيها الحسنات، وتتنزل فيها الرحمات، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي دلَّ أمته على أبواب الخير وحثهم على اغتنامها.

تُعدُّ العشر الأوائل من شهر ذي الحجة من أعظم أيام الدنيا وأجلِّ مواسم الطاعة، وقد اختصها الله تعالى بفضائل عظيمة ومزايا جليلة؛ اجتمع فيها من أنواع العبادات ما لم يجتمع في غيرها من الأيام، ففيها تُؤدَّى فريضة الحج، وفيها يوم عرفة الذي يكفِّر الله بصيامه السنة الماضية والباقية، وفيها يوم النحر.

وقد رفع الله شأن هذه الأيام حتى أقسم بها في كتابه العزيز فقال:

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ [الفجر: ١، ٢]، وذهب جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين إلى أن المقصود بها عشر ذي الحجة.

وأخبر النبي ﷺ عن فضلها: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ. قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ**

بِشَيْءٍ» (١). وفي هذا الحديث بيانٌ لعظيم فضل عشر ذي الحجة، وأن العمل الصالح فيها أفضل من العمل في سائر أيام السنة، حتى من الجهاد في سبيل الله، إلا جهاد رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيءٍ منهما.

وفيه دليل على أن الله تعالى يفضِّل بعض الأزمنة على بعض لِحكَم يعلمها سبحانه. ولهذا كان للعمل الصالح في هذه الأيام مزية ليست لغيرها من أيام السنة، وأشار إلى ذلك الإمام ابن رجب رحمه الله بقوله: «وَإِذَا كَانَ العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنَ العَمَلِ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَيَّامِ السَّنَةِ كُلِّهَا، صَارَ العَمَلُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مَفْضُولًا، أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ فَاضِلًا» (٢). اهـ. وإذا كان الأمر كذلك، فإن المسلم ينبغي له أن يحرص على اغتنام هذه الأيام بالإكثار من الطاعات والقربات، فإن العمل الصالح وإن كان مطلوبا في كل زمان، فإنه يتأكد في هذه الأيام المباركة؛ لما خصَّها الله به من عظيم الفضل ومضاعفة الأجر، وهي موسم قد لا يتكرر للعبد مرةً أخرى.

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٢٤٣٨) باختلاف يسير.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص٤٥٧ ت عوض الله).

وفي الصفحات الآتية بيانٌ لجملة من الأعمال المستحبة في عشر ذي الحجة، مع شيءٍ من فضائلها وأدلتها؛ رجاءَ أن تكون عونًا للمسلم على اغتنام هذا الموسم المبارك.

وقد جُعلت هذه الرسالة متاحة لكل مسلم؛ فيُباح نسخها ونشرها والانتفاع بها دون قيد أو استئذان؛ رجاءَ نشر الخير والدلالة عليه ونسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم.

٢٢ من شهر محرم سنة ١٤٤٨هـ

التوبة (١)

وإذا أقبلت مواسم الفضل، كان العبد أحوج ما يكون إلى محاسبة نفسه؛ فإن القلب إذا أثقلته الذنوب ضعفت همته، وفتر عن الطاعة، وحُرم من كثير من أبواب الخير، ولهذا أمر الله تعالى عباده جميعًا بالتوبة، وجعل الفلاح مترتبًا عليها، فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ولم يكتفِ سبحانه بالأمر بالتوبة، بل بيَّن ما أعدَّه للتائبين من الأجر والثواب، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨]. ففي هذه الآية وعدٌ بتكفير الذنوب، وجزاءٌ عظيم هو دخول الجنات. ومن سعة رحمة الله تعالى

---

(١) شروط التوبة النصوح:

- الإخلاص لله تعالى في التوبة، بأن يقصد العبد بتوبته وجه الله وحده.
- الإقلاع عن الذنب وتركه فورًا.
- الندم على ما مضى من المعصية.
- العزم الصادق على عدم العودة إلى الذنب.
- رد المظالم إلى أهلها والتحلل منها إذا تعلقت التوبة بحقوق العباد.
- أن تكون التوبة في زمن قبولها، وذلك قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها.

بالتائبين أنه لا يقتصر على محو السيئات فحسب، بل يبدلها حسنات، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. فأيُّ فضلٍ أعظمُ من أن تُبدَّل سيئاتُ العبد بعد التوبة الصادقة حسناتٍ، وأن تنقلب صحائفُ الذنوب إلى صحائفَ عامرةٍ بالحسنات؟!

وكثيــرٌ من الناس إذا سمع الحديث عن التوبة انصرف ذهنه إلى أصحاب الكبائر وأهل المعاصي الظاهرة، مع أن التوبة عبادةٌ يحتاج إليها جميع الخلق، ولا يستغني عنها أحد من المؤمنين؛ إذ لا يخلو عبد من تقصير أو تفريط. وهذا المعنى تؤكده السنة، فقد أخبر النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١). فهذا الحديث يدل على أن الوقوع في الذنوب والخطأ من طبيعة بني آدم وجبلتهم، ولذلك كانت التوبة والاستغفار من أعظم ما يحتاج إليه العبد في جميع أحواله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وقد نبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى خطأ من يقصر التوبة على بعض الذنوب الظاهرة فقط، فقال: «**وَلَيْسَت التَّوْبَة من فعل السَّيِّئَات فَقَط كَمَا يظنّ كثير من الْجُهَّال لَا يتصورون التَّوْبَة إِلَّا عَمَّا يَفْعَله العَبْد من القبائح كالفواحش والمظالم بل التَّوْبَة من ترك الْحَسَنَات الْمَأْمُور بهَا أهم من التَّوْبَة من فعل السَّيِّئَات الْمنْهِي عَنْهَا فَأَكْثر الْخلق يتركون كثيرا مِمَّا أَمرهم الله بِهِ من أَقْوَال الْقُلُوب وأعمالها وأقوال الْبدن وأعماله**» (١). اهـ. وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله يبين سعة أبواب التقصير التي يحتاج العبد إلى التوبة منها؛ فإن ما يحتاج العبد إلى التوبة والاستغفار منه لا يقتصر على فعل المحرمات، بل يدخل فيه أيضًا التفريط في المأمورات والقصور في حقوق الله تعالى. وأشار إلى ذلك الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «**ولو خَلَا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَنْ مَعْصِيَةِ الْجَوَارِحِ فَلَا يَخْلُو عَنِ الْهَمِّ بِالذُّنُوبِ بِالْقَلْبِ فَإِنْ خَلَا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَنِ الْهَمِّ فَلَا يَخْلُو عَنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ بِإِيرَادِ الْخَوَاطِرِ المتفرقة الْمُذْهِلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنْ خَلَا عَنْهُ فَلَا يَخْلُو عَنْ غَفْلَةٍ وَقُصُورٍ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ نَقْصٌ**» (٢). اهـ.

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٢٨).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٠).

وإذا كان العبد لا ينفك عن شيءٍ من النقص والتقصير، فإن حاجته إلى التوبة تبقى ملازمةً له في جميع أحواله، ولهذا كان النبي ﷺ وهو أكمل الخلق وأعظمهم عبوديةً لربه يكثر من التوبة والاستغفار، ويقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» (١). فإذا كان النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة، فغيره من الناس أولى بالإكثار من التوبة والاستغفار. وكيف لا يكون العبد محتاجًا إلى التوبة، وهو مهما اجتهد في الطاعة فلن يوفي ربه حقه كما ينبغي، ولن يخلو من تقصيرٍ أو غفلة؟!

ومن رحمة الله تعالى أن باب التوبة لا يزال مفتوحًا لعباده آناء الليل وأطراف النهار، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» (٢). وقد بيَّن الإمام القرطبي رحمه الله أن المقصود من هذا الحديث إظهار دوام رحمة الله تعالى بعباده، واستمرار قبوله لتوبة التائبين، فقال: « **وَهَذَا الْحَدِيثُ أُجْرِيَ مَجْرَى الْمَثَلِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ دَوَامُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، والبزار (٣٠٢١) واللفظ لهم.

قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَاسْتِدَامَةُ اللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا تَنَزُّلٌ عَنْ مُقْتَضَى: الْغَنِيِّ، الْقَوِيِّ، الْقَاهِرِ، إِلَى مُقْتَضَى اللَّطِيفِ، الرَّؤُوفِ، الْغَافِرِ» (١).اهـ.

فبادر رحمك الله إلى التوبة، ولا تؤخرها؛ فإنك لا تدري متى ينقضي الأجل ويُغلق باب العمل، واجعل هذه الأيام المباركة بداية صفحة جديدة مع الله تعالى، تُقلع فيها عن الذنوب، وتستكثر من الطاعات، وترجو رحمة ربٍّ كريمٍ وعد بقبول التائبين، فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

---

(١) المفهم (٧/ ١٠٦).

صلة الرحم(١)

ومن الطاعات التي تغرس المحبة في القلوب، وتقوِّي أواصر الألفة بين الأقارب، صلةُ الرحم، وقد رغَّب الشرع فيها، وجعل لها من الفضائل ما يدعو إلى الحرص عليها.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]. قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «**يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ يَصِلُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا فَلَا يَقْطَعُونَهَا، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يَقُولُ: وَيَخَافُونَ اللهَ فِي قَطْعِهَا أَنْ يَقْطَعُوهَا، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى قَطْعِهَا وَعَلَى خِلَافِهِمْ أَمْرِهِ فِيهَا**» (٢).اهـ.

---

(١) قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٤١٤): «بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ يُطْلَقُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَهُمْ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِ نَسَبٌ سَوَاءٌ كَانَ يَرِثُهُ أَمْ لَا سَوَاءٌ كَانَ ذَا مَحْرَمٍ أَمْ لَا وَقِيلَ هُمُ الْمَحَارِمُ فَقَطْ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَجَّحُ لِأَنَّ الثَّانِي يَسْتَلْزِمُ خُرُوجَ أَوْلَادِ الْأَعْمَامِ وَأَوْلَادِ الْأَخْوَالِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَلَيْسَ كَذَلِك». اهـ.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٠٨).

ولعظيم شأنها قرن الله تعالى قطيعة الرحم بالإفساد في الأرض، وجعلها سببًا لاستحقاق اللعنة، فقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وقد جاءت السنة النبوية مؤكدةً فضل صلة الرحم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (١). قال الشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله: «عَلَى الخِلَافِ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ فِي الزِّيَادَةِ الحَاصِلَةِ عَنِ الصِّلَةِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: زِيَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: زِيَادَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، بَرَكَةٌ فِي الوَقْتِ، وَلَيْسَتْ زِيَادَةً حَقِيقِيَّةً فِي عَدَدِ السِّنِينَ، الخِلَافُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ مَعْرُوفٌ، وَالأَمْرُ فِيهَا ثَابِتٌ» (٢).اهـ.

ولم يقتصر فضل صلة الرحم على ما يترتب عليها من بركة الرزق والعمر، بل جعلها النبي ﷺ من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) شرح الأربعين النووية - عبد الكريم الخضير (١٢/ ٢٢ بترقيم الشاملة آليا).

فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (١). قال الملّا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في مرقاة المفاتيح: «**فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَاطِعَ كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِعَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُقُوبَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الْقَطِيعَةِ**» (٢) .اهـ.

وكما رغَّب النبي ﷺ في صلة الرحم، فقد حذَّر أشدَّ التحذير من قطيعتها؛ فعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**» (٣). فدلَّ هذا الحديث على أنَّ قطيعة الرحم محرمة، وأنه سبب لعدم دخول الجنة والعياذ بالله، والمقصود به في حق المؤمن: لا يدخلها دخولًا أوليًّا إن شاء الله تعذيبه، وقد جاء في الحديث الآخر: «**إِنَّ الله تعالى قال: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**» (٤). وقد يعتذر بعض الناس عن ترك صلة رحمه بما يلقاه منهم من إساءةٍ أو جفاء، إلا أن السنة جاءت بخلاف ذلك؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أَنَّ رَجُلًا قال: يا رَسولَ الله، إنَّ لي قَرابةً أَصِلُهم ويَقطَعوني، وأُحسِنُ إليهم ويُسيئونَ إليَّ، وأَحلُمُ عنهم ويَجهَلونَ عليَّ، فقال: لَئِن كُنتَ كما قُلتَ فكَأنَّما تُسِفُّهمُ المَلَّ، ولا يَزالُ معك**

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٨٨)، ومسلم (٢٥٥٤).

مِنَ اللهِ ظَهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك» (١). وفي الحديث حثٌّ على الصبر على أذى الأقارب، والاستمرار في صلتهم والإحسان إليهم، وأن من فعل ذلك كان الله معينًا له وناصرًا، فلا تكون إساءة الأقارب عذرًا في قطع الرحم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨)، وأحمد (٧٩٩٢)، والبزار (٨٣٢٣) واللفظ لهم.

الحجّ والعمرة

الحج أحد أركان الإسلام، وهو الركن الخامس منها، فرضه الله تعالى على المستطيع مرةً في العمر، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١) [آل عمران: ٩٧]. وقال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والحج من أجلِّ ما يتقرب به العبد إلى الله في هذه الأيام المباركة؛ إذ تجتمع فيه أنواع من العبادات القلبية والبدنية والمالية، ولذلك كان أعظم أعمال عشر ذي الحجة لمن تيسر له أداؤه.

ومن أعظم فضائـل الحج أنه سبب لمغفرة الذنوب وتطهير العبد من خطاياه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ

(١) وقد يسيء بعض الناس فهم قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فيظن أن الاستطاعة لا تتحقق إلا لمن كان من أصحاب الثروات العظيمة أو الأموال الكثيرة، مع أن الشرع لم يعلق الوجوب بالغنى الفاحش، وإنما علَّقه بالاستطاعة. فكم من إنسان يملك مالًا أو عقارًا أو أرضًا، أو يفضل عن حاجته ما يتمكن به من الحج، ثم يؤخر هذه الفريضة عامًا بعد عام بحجة أنه غير مستطيع.

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يراجع نفسه، وألا يجعل حبَّ الدنيا أو التسويف سببًا في تأخير ركنٍ من أركان الإسلام بعد أن هيأ الله له أسبابه.

يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (١). وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «**وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» (٢). وفي هذين الحديثين بيان فضل الحج وأثر الحج المبرور في تكفير الذنوب، إذا أُدِّي على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

ولم يقتصر الفضل على الحج، بل شمل العمرة أيضًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لما بينهما والحج المبرور، ليس جزاء إلا الجنة**» (٣). ومن بركات المتابعة بين الحج والعمرة أن الله يجمع لصاحبه خيرَي الدنيا والآخرة؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**» (٤). قال الْمُنَاوِي رحمه الله: «**أَي ائْتُوا بِكُل مِنْهُمَا عقب الآخر بِحَيْثُ يظْهر الاهتمام بهما وَإِن تخَلّل بَينهمَا زمن قَلِيل (فَإِنَّهُمَا ينفيان الْفقر والذنُوب)**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والنسائي (٢٦٣١)، والترمذي (٨١٠).

لخاصية علمهَا الشَّارِع أَو لَان الْغنى الْأَعْظَم هُوَ الْغَنِيّ بِطَاعَة الله (كَمَا يَنْفِي الْكِير خبث الْحَدِيد وَالذَّهَب وَالْفِضَّة) مثل بذلك تَحْقِيقا للانتفاء (وَلَيْسَ للحجة المبرورة) أَي المقبولة أَو الَّتِي لَا يشوبها اثم (ثَوَاب إِلَّا الْجنَّة) أَي لَا يقْتَصر لصَاحِبهَا من الْجَزَاء على تَكْفِير بعض ذنُوبه بل لَا بُد من دُخُوله الْجنَّة» (١). اهـ. ولما كان الحـج من أجلِّ الأعمال التي تُؤدَّى في عشر ذي الحجة، بل هو أعظمها في حق من تيسر له أداؤه، كان من وفقه الله لأدائه قد وفق لخيرٍ عظيم، فليحرص على أن يكون حجُّه مبرورًا؛ فإن الحـج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٤٢).

الأضحيـة

تُعدُّ الأضحية من الشعائر التي شرعها الله تعالى في أيام النحر، وهي عبادةٌ يتقرب بها المسلم إلى ربه بذبح بهيمة الأنعام في أيام النحر، ابتغاء مرضاته وامتثالًا لأمره. وقد دلَّت النصوص الشرعية على مشروعيتها، وأجمع العلماء على أنها من شعائر الإسلام الظاهرة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وشُرعت الأضحية لِحِكَمٍ عظيمة، من أبرزها شكر الله تعالى على نعمه، وإحياء سنة خليل الله إبراهيم عليه السلام حين امتثل أمر ربه في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، ثم فداه الله بذبحٍ عظيم، كما أنها تُظهر معاني البذل والطاعة، وتحقق التكافل بين المسلمين بإطعام الأهل والأقارب والفقراء والمساكين. ويرى جمهور الفقهاء أن الأضحية سنةٌ مؤكدة للقادر، فلا ينبغي له تركها مع القدرة عليها؛ لما فيها من تعظيم شعائر الله والاقتداء بسنة النبي ﷺ، وقد كان ﷺ يداوم عليها.

ولصحة الأضحية شروطٌ ينبغي مراعاتها، فمنها أن تكون من بهيمة الأنعام، وهي الإبل أو البقر أو الغنم، وأن تبلغ السن المعتبرة شرعًا، وأن

تكون سليمة من العيوب الظاهرة التي تمنع الإجـزاء، كالعور البين، والمرض البين، والعرج البين، والهزال الشديد، وأن تُذبح في الوقت المحدد شرعًا مع استحضار نية التقرب إلى الله تعالى.

ويبدأ وقت ذبح الأضحية بعد الانتهاء من صلاة عيد الأضحى، فلا تصح قبل الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَّلَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ**» (١). ويمتد وقت الذبح إلى آخر أيام التشريق على قول كثير من أهل العلم، وهو اختيار جماعة من أهل العلم.

ويستحب للمضحي أن يباشر ذبح أضحيته بنفسه إن استطاع، فإن لم يستطع جاز له أن ينيب غيره، كما يجوز له أن يأكل من أضحيته، ويهدي منها، ويتصدق على الفقراء؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨]. ومن الآداب المتعلقة بالأضحية أن يمسك من أراد أن يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره إذا دخلت عشر ذي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٦١).

الحجة حتى يذبح أضحيته، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أُهِلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا، حَتَّى يُضَحِّيَ**» (١). كما ينبغي أن يحرص على الإحسان في الذبح، وأن يذكر اسم الله تعالى ويكبر عند الذبح، وأن يختار أضحيةً سليمةً طيبة؛ تعظيمًا لهذه الشعيرة المباركة.

وتبقى الأضحية مظهرًا من أعظم مظاهر العبودية في يوم النحر، إذ يجتمع فيها تعظيم أمر الله، وإحياء سنة الأنبياء، والإحسان إلى الخلق، وإظهار شكر النعمة، ولذلك كانت من أجلِّ القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه في هذه الأيام المباركة.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٧).

الذكر

ومن أيسر الطاعات على العبد، وأكثرها ثوابًا، ذكرُ الله تعالى؛ فهو عبادةٌ لا تختص بزمانٍ ولا مكان، ولا تكلِّف العبد مشقةً، وقد بيَّن النبي ﷺ فضل الذاكرين لله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**» (١). وفي هذا الحديث حثٌّ على الإكثار من ذكر الله تعالى، وبيانٌ أن السبق الحقيقي إنما يكون بعمارة الأوقات بطاعة الله وذكره.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**» (٢). وفيه بيان لعظيم أثر الذكر في حياة القلب، وأنه سبب حياته وقوته، بخلاف الغفلة فإنها تورث قسوة القلب ومواته.

وقد شرع الله سبحانه للمسلمين في هذه الأيام المباركة الإكثار من ذكره؛ من التكبيـــر والتهليل والتحميد والتسبيح، لما لهذه الأيام من الفضل العظيم والمكانة الرفيعة، قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الأيام المعلومات هي عشر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، وأحمد (٩٣٣٢)، وأبو عوانة (١١٧٧١) واللفظ لهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

ذي الحجة. وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يحرصون على إظهار التكبير في هذه الأيام المباركة، فذكر البخاري تعليقًا عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: «**أنهما كانا يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا**» (١).

وينقسم التكبير في عشر ذي الحجة إلى نوعين:

التكبير المطلق: وهو التكبير في جميع الأوقات؛ ليلًا ونهارًا، في البيوت والمساجد والطرقات والأسواق، ويبدأ من دخول شهر ذي الحجة إلى غروب شمس آخر أيام التشريق.

التكبير المقيد: وهو التكبير عقب الصلوات المفروضة، ويبدأ من فجر يوم عرفة إلى غروب شمس آخر أيام التشريق، وهو قول جمهور أهل العلم. وقد وردت عن الصحابة رضي الله عنهم عدة صيغ للتكبير، منها: «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**» (٢).

---

(١) أخرجه البخاريُّ معلقًا بصيغة الجزمِ قبل حديثِ (٩٦٩)، ورواه موصولًا ابنُ أبي شيبةَ في ((المصنَّف)) (٢/ ١٦٤)، والبيهقي (٣/ ٢٧٩) (٦٣٤٨).

(٢) أخرجه ابنُ أبي شَيبة (٥٦٥١).

ولا تَلزَمُ صيغة معيَّنة للتكبيـر، ولم يثبت عن النبي ﷺ صيغةٌ محددةٌ يُلتزم بها. وقد سُئـل الإمام أحمد رحمه الله عن صفة التكبيـر فقال: "هذا واســع". (١) .اهـ.

وإذا كانت هذه الأيام موسمًا للطاعات والقربات، فإن من أعظم ما تُعمَر به هذه الأيام الإكثار من ذكر الله تعالى؛ تكبيـرًا وتهليلًا وتحميدًا وتسبيحًا واستغفارًا، رجاءَ ما عند الله تعالى من الأجر، واغتنامًا لفضل هذه الأيام المباركة.

---

(١) قال أبو داود رحمه الله : (سمعتُ أحمد سُئل: كيف التكبيـرُ يوم الفطر؟ قال: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، قيل لأحمد: ابنُ المبارك يقولُ في الفِطر، يعني مع التكبير: الحمد لله على ما هدَانا، قال: هذا واســعٌ) ((مسائل الإمام أحمد)) (ص: ٦١).

الصيام

ومن الأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله تعالى في عشر ذي الحجة الصيام، ويعظم أجره إذا وافق مواسم الفضل؛ لاجتماع شرف العبادة وفضل الزمان. ويدخل الصيام في عموم العمل الصالح الذي عظَّمه النبي ﷺ في هذه الأيام المباركة، حيث قال ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» (١). ولذلك كان كثير من السلف يستحبون صيام تسع ذي الحجة؛ لما فيها من مضاعفة الأجور وعظم المثوبة.

وقد دلَّت السنة على عظيم منزلة الصيام؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، مُرْني بأمرٍ ينفعني الله به، فقال ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**» (٢). وكان أثرُ هذا التوجيه ظاهرًا في حياة أبي أمامة رضي الله عنه ؛ حتى قال الراوي: «**وَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لَا يُكَادُ يُرَى فِي بَيْتِهِ الدُّخَانُ بِالنَّهَارِ، فَإِذَا رُئِيَ الدُّخَانُ بِالنَّهَارِ، عَرَفُوا أَنَّ ضَيْفًا اعْتَرَاهُمْ مِمَّا كَانَ يَصُومُ هُوَ وَأَهْلُهُ**».اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ١٦٥، ١٦٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٨).

ومما يدل على عظيم ثواب الصيام أيضًا ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**» (١). قال النوويّ رحمه الله: «**وَمَعْنَاهُ الْمُبَاعَدَةُ عَنِ النَّارِ وَالْمُعَافَاةُ مِنْهَا وَالْخَرِيفُ السَّنَةُ وَالْمُرَادُ سَبْعِينَ سَنَةً**» (٢).اهـ.

ومن أعظم ما اختُصَّ به الصيام أن الله تعالى أضافه إلى نفسه إضافة تشريفٍ وتعظيم، فقال في الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» (٣)، وقد ذكر أهل العلم أن من حِكَم هذا الاختصاص أن الصيام أبعد العبادات عن الرياء؛ إذ هو عبادةٌ خفية لا يطلع على حقيقتها إلا الله تعالى، ولهذا قال ابن الجوزي رحمه الله: «**جَمِيعُ الْعِبَادَاتِ تَظْهَرُ بِفِعْلِهَا وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مَا يَظْهَرُ مِنْ شَوْبٍ بِخِلَافِ الصَّوْمِ**» (٤).اهـ. ولهذا كان الصيام من العبادات التي تربي العبد على مقام الإحسان؛ إذ يدع شهوته في السر كما يدعها في العلن، مراقبًا ربه،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٢٢١٥)، وابن ماجه (١٦٣٨)، وأحمد (٧٤٩٤) واللفظ له.

(٤) فتح الباري (٤/ ١٠٧).

مستحضرًا اطلاع الله عليه.

فاحرص على صيام هذه الأيام المباركة، فإن تيسر لك صيام الأيام التسعة كلها فذلك خيرٌ عظيم، وإن لم يتيسر لك ذلك فلا تحرم نفسك الأجر، وصم منها ما تيسر لك.

تلاوة القرآن

القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو أفضل الذكر، أنزله الله جل وعلا هدايةً للناس، ونورًا للقلوب، وشفاءً لما في الصدور، وقد بيَّن الله تعالى أن هذا القرآن هو سبيل الهداية والاستقامة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وقد رتَّب على تلاوته والعمل به فضائل عظيمة، وجعل لأهله من الكرامة والأجر ما لا يخفى.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾ **أَيْ: يَتَّبِعُونَهُ فِي أَوَامِرِهِ، فَيَمْتَثِلُونَهَا، وَفِي نَوَاهِيهِ، فَيَتْرُكُونَهَا، وَفِي أَخْبَارِهِ، فَيُصَدِّقُونَهَا وَيَعْتَقِدُونَهَا، وَلَا يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مَا خَالَفَهُ مِنَ الأَقْوَالِ، وَيَتْلُونَ أَيْضًا أَلْفَاظَهُ، بِدِرَاسَتِهِ، وَمَعَانِيَهُ، بِتَتَبُّعِهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا**» (١).اهـ.

ولم يقف فضل تلاوة القرآن عند ما يناله العبد في الدنيا من الهداية والطمأنينة، بل يمتد أثرها إلى الآخرة، حيث يكون القرآن لصاحبه عونًا

---

(١) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٩).

وشفاعةً في ذلك اليوم العظيم؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**» (١).

ولم يجعل النبي ﷺ فضل القرآن خاصًّا بمن أتقن تلاوته وأحسن قراءته، بل بشّر حتى من يجد مشقة في القراءة بعظيم الأجر، فقال ﷺ «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**» (٢). فالماهر بالقرآن الذي أتقن تلاوته وأحسن أداءه له منزلة عظيمة، فهو مع الملائكة الكرام البررة، وأما من كان يجد صعوبة في القراءة ويتردد لسانه فيها، فلا ينبغي أن يترك القرآن بحجة أنه لا يحسن القراءة؛ بل له على مشقته أجران. وهذا من أعظم أبواب رحمة الله بعباده؛ فالمطلوب منك أن تقرأ وتجاهد نفسك، لا أن تكون كاملًا منذ البداية.

وكل حرف تتعلمه، وكل آية تكررها، وكل مشقة تتحملها في سبيل كتاب الله، فهي عند الله محفوظة لا تضيع.

وفي هذه الأيام اجتهد في الإكثار من قراءة القرآن وتدبر معانيه والعمل بما فيه؛ فلا تدع هذه الأيام تمر إلا ولك مع القرآن وِرد يومي؛ واجعل

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) بلفظ مقارب، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير.

لنفسك ختمةً في العشر، أو ما تيسر لك منها، وقد أُلحق في الهامش جدولٌ مقترح لختم القرآن في أيام العشر (١)، على سبيل التيسير والاستعانة، لا على سبيل اللزوم.

(١) جدول مقترح لختم القرآن الكريم خلال أيام العشر.

اليوم	البداية	النهاية
١	الفاتحة	البقرة
٢	ال عمران	النساء
٣	المائدة	الأنعام
٤	الأعراف	التوبة
٥	يونس	الرعد
٦	إبراهيم	الإسراء
٧	الكهف	الفرقان
٨	الشعراء	سبأ
٩	فاطر	الحجرات
١٠	ق	الناس

الصدقة

جعل الله تعالى الصدقة من أبواب التقرب إليه، ورتَّب عليها من الفضائل والآثار ما يدل على عظيم منزلتها؛ فهي سببٌ لنيل رضوان الله، والخلف في الدنيا، والبركة في الرزق، والنجاة من النار، ونيل الأجر في الآخرة. وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة في الترغيب فيها، والتحذير من البخل والإمساك.

قال الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]. فمدحهم الله تعالى لإخلاصهم في الإنفاق، وإطعامهم المحتاجين ابتغاء وجه الله، فكان جزاؤهم أن وقاهم شرَّ ذلك اليوم، وأكرمهم بالنضرة والسرور والجنة.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. قال ابن كثير رحمه الله: «**أَيْ مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَأَبَاحَهُ لَكُمْ، فَهُوَ يُخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ فِي**

الدُّنْيَا بِالْبَدَلِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ» (١).اهـ. ولنا في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة في البذل والكرم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: **«أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم غَنَمًا بينَ جَبَلَينِ، فأعطاه إيَّاه، فأتى قَومَه فقال: أي قَومِ، أسلِموا؛ فواللهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعطي عَطاءً ما يَخافُ الفَقرَ»** (٢). وفي هذا بيانٌ لما كان عليه النبي ﷺ من كمال الإحسان والجود، وأن بذل المعروف من أجلِّ الأخلاق وأعظم أسباب تأليف القلوب والدعوة إلى الله تعالى.

وقد رغَّب النبي ﷺ في الصدقة ولو كانت يسيرة؛ فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** (٣). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح **«وَفِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ بِمَا قَلَّ وَمَا جَلَّ وَأَنْ لَا يَحْتَقِرَ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ وَأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الصَّدَقَةِ يَسْتُرُ الْمُتَصَدِّقَ مِنَ النَّارِ»** (٤).اهـ. ومن شواهد كون الصدقة سببًا للنجاة من النار أن النبي ﷺ لما رأى النساء أكثر أهل النار حثَّهن على الصدقة، فقال: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢)، وأحمد (٢١/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٠)، ومسلم (١٠١٦)، والنسائي (٢٥٥٣)، واللفظ لهم جميعا.

(٤) فتح الباري (٣/ ٢٨٤).

تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» (١). قال الحافظ رحمه الله: «**وَفِيهِ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ الْعَذَابَ وَأَنَّهَا قَدْ تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ الَّتِي بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ**» (٢).اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما مِن يَومٍ يُصبِحُ العِبادُ فيه إلَّا مَلَكانِ يَنزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهما: اللهُمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أعطِ مُمسِكًا تَلَفًا**» (٣). في الحديث ترغيبٌ في الإنفاق؛ إذ وعد الله المنفق بالخلف، والخلف أعمُّ من المال، فيشمل البركة في الرزق، وصلاح الأهل، والعافية، والتوفيق، وسائر ألوان الخير. وفيه التحذير من البخل ومنع الحقوق الواجبة؛ فإن دعاء الملَك على الممسك بالتلف يشمل ذهاب المال أو نزع بركته، وقد يمتد إلى ضيق العيش والهمِّ والحرمان من التوفيق، مع ما ينتظره من الحساب والعقوبة إن فرَّط في حق الله. ويؤكد هذا المعنى الحديث القدسي «**يا بنَ آدمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك**» (٤). إذ جعل الله تعالى جزاء الإنفاق الإنعام على المنفق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

وخلاصة الأمر أن الصدقة ليست مجرد إخراجٍ للمال، بل هي عبادةٌ تُصلح القلب، وتغرس فيه معاني البذل والإحسان. فلا تحرم نفسك من فضل الصدقة في هذه الأيام، فلعلَّ صدقةً يسيرةً تكون سببًا لمغفرة ذنبٍ، أو رفعةِ درجةٍ، أو وقايةٍ من النار، أو ينالك بها خَلَفُ الله وبركتُه.

يوم عرفة

يوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، وهو اليوم الذي يقف فيه الحجاج بعرفة، ويُعدُّ من أجلِّ أيام العام وأعظمها فضلًا عند الله تعالى. ففيه أكمل الله تعالى لهذه الأمة دينها، وأتمَّ عليها نعمته، وتُغفر الذنوب، وتُستجاب الدعوات، وتُرفع الدرجات، ويُعتق الله فيه رقابًا كثيرةً من النار، ويباهي سبحانه وتعالى ملائكته بأهل الموقف، وهو يومٌ تتجلى فيه نفحات الرحمة والمغفرة والعتق.

ومن أعظم فضائل هذا اليوم المبارك ما رتب الله تعالى على صيامه من الأجر والثواب؛ فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه **أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن صَومِ يومِ عَرَفَةَ، فقال: «كفّارةُ سَنتَينِ، وسُئِلَ عن صَومِ يومِ عاشوراءَ، فقال: كفّارةُ سَنةٍ»** (١). وفي رواية عن أبي قتادة الحارث بن ربعي: قال له رَجُلٌ: أرَأَيتَ صيامَ عَرَفةَ؟ «**قال: أحتسِبُ عندَ اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنَةَ الماضيةَ والباقيةَ**»؛ أي أن الله تعالى يجعل صيام هذا اليوم سببًا لتكفير ذنوب سنة ماضية وسنة آتية من الصغائر، وذلك من فضل الله تعالى على عباده.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قالَ له: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ في كِتابِكُمْ تَقْرَؤُونَها، لو عَلَيْنا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاتَّخَذْنا ذلكَ اليومَ عِيدًا. قالَ: أيُّ آيَةٍ؟ قالَ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً» [المائدة: ٣]. قالَ عُمَرُ: قدْ عَرَفْنا ذلكَ اليَومَ، والمَكانَ الذي نَزَلَتْ فيه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو قائِمٌ بعَرَفَةَ يَومَ جُمُعَةٍ» (١). وإذا كان الله تعالى قد أكرم هذه الأمة في هذا اليوم بإكمال الدين وإتمام النعمة، فإنه سبحانه يفيض على عباده فيه من رحمته وفضله، ويكثر فيه العتق من النار؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرادَ هَؤُلاءِ؟» (٢).

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وهذا يدُلُّ على أنَّهم مَغفُورٌ لهم؛ لأنَّه لا يُباهي بأهلِ الخطايا والذُّنوب إلّا من بعدِ التَّوبةِ والغُفران، واللهُ أعلم» (٣) اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٤٥) واللفظ له، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٢٩٣ ت بشار).

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «**فيُعْتِقُ اللهُ فيهِ مِن النَّارِ مَن وَقَفَ بعرفةَ ومَن لمْ يَقِفْ بها مِن أهلِ الأمصارِ مِن المسلمينَ، فلذلكَ صارَ اليومُ الذي يَليهِ عيدًا لجميعِ المسلمينَ في جميعِ أمصارِهِم، مَن شَهِدَ الموسمَ منهُم ومَن لم يَشْهَدْهُ؛ لاشتراكِهِم في العتقِ والمغفرةِ يومَ عرفةَ**» (١) اهـ. فنرجو أن يكون العتق من النار عامّاً لجميع المسلمين، فرحمته جلّ وعلا واسعة، وفضله عظيم.

فيا من أدرك يوم عرفة، اغتنم ساعاته المباركة، واجتهد فيه ما استطعت، وأكثر من الدعاء، وألحَّ على الله في طلب حاجاتك، وأكثر من الاستغفار والتوبة، وسل الله من خيري الدنيا والآخرة.

واحفظ جوارحك عن المعاصي والآثام، واحرص على غض البصر، وحفظ اللسان من الغيبة والنميمة واللغو وسائر ما لا ينفع وأكثر من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وأقبل على ربك بقلب حاضر خاشع، واجتهد في سائر الأعمال الصالحة من الصدقة، وبر الوالدين، وصلة الرحم،

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص٦٠٩ ت عامر).

والإحسان إلى الناس، فلعلها ساعات مباركة تكون سببًا لمغفرة الذنوب والفوز برضا الله تعالى.

الفهرس

